بين الفرصة والخطر.. معضلة "شريحة السبعين"
كيف تتعامل السلطة السعودية مع فئة الشباب

مركز طوى للدراسات - موسى السادة

مقدمة

اعتادت القراءة السياسية والاجتماعية للمملكة السعودية خلال العقد الأخير، سواء من الباحثين أو السياسيين على حد سواء، بالبدء بتكرار معلومة أن سبعين بالمئة من عدد سكان المملكة هم من فئة الشباب[1]. يراد من هذا التكرار، الإشارة إلى أن هذا الواقع الديمغرافي، يفرض على المملكة، ويؤهلها في ذات الوقت، لتكون مسرحاً لتغيير اقتصادي كبير. سواء لأن ذلك ما تتطلبه هذه الأغلبية الشعبية، والكتلة الجيلية الصاعدة، من وظائف وسوق قادر على استيعابهم. أو في التحول الثقافي، وموات أفكار الأجيال القديمة، الذي سينتج جيلاً يبحث عن أجوبة لأسئلة لا توفرها البيئة السياسية والثقافية والاقتصادية للجيل السعودي القديم.

من جهة أخرى، لا تأتي هذه الإشارة بغرض معالجة ما تتطلبه هذه الكتلة الديمغرافية، بقدر أنها تأتي في موقع العرض. عرض هذا الواقع الديمغرافي للسوق العالمية، بأن المملكة لا تشرّع الأبواب فقط، بل إنها المحطة التي توفر أفضل بيئة لتوسع السوق المعولم، من ناحية أنها مركز يجمع القوة الشرائية العالية، ورعاية من الدولة لثقافة الاستهلاك للشريحة المثلى وهي الشباب. وأيضاً أنها ستوفر اليد العاملة سواء من الشباب السعودي، أو من خلال العرف التاريخي الكبير لعمليات استيراد العمال، ذوي الأجور والحقوق المنخفضة لتوفير

[1] https://www.saudigazette.com.sa/article/654099

الخدمات، تحديداً من شرق وجنوب آسيا. أو تشريع الأبواب للجنسيات الأخرى من ما يوصف بالعمالة ذوي المهارات العالية.

باختصار تبقى الإشارة لهذا الواقع الديمغرافي محل احتكار لتصور "الفرصة" أو "الغنيمة"، والعامل المساعد والدافع الكبير نحو برنامج التغيير الاجتماعي والاقتصادي التي تريد السلطة السياسية تبنيه. وهي قراءة ليست بالخاطئة تماماً، إنما، وفي ذات الوقت، تواجه اسرافاً كبيراً، واختزالاً لمعطيات ماذا يعنيه أن تكون مجتمعاً قرابة السبعين بالمئة من أفراده ما دون الثلاثين من العمر. في واقع الأمر، كان هذا الظرف الديمغرافي في موضع تصور مختلف منذ نهايات عهد الملك فهد عبد العزيز، وتحديداً منذ بداية حكم الملك عبدالله، حيث كان هذا الظرف محل احتكار آخر وهو تصور "الخطر" و"التهديد"، وكان صراع الأجنحة والفجوة العمرية بين الطبقة الحاكمة والمحكومين، تنعكس في صراعات الأجنحة حول كيفية الإجابة على هذا "التهديد". حيث كان تيار الأمير نايف بن عبدالعزيز لا يزال يرى في السردية والشرعية الوهابية وتيار المحافظة، سلاحاً يجيب على هذا التهديد، وبل أن التفريط به سيسبب انفجاراً لا العكس. في حين كان توجه عبدالله مختلفاً، بل معاكساً. إنما بسبب التكلس العمري لطبقة حكم الأخير، اتخذت الإجابة نمطاً من الاعتباطية والفوضوية والتردد، كفتح برنامج ضخم غير مسبوق للابتعاث الخارجي للدراسة متاحاً لأكبر شريحة ممكنة، كاستجابة واحتواء لهذا التهديد.

ولذلك عاشت المملكة نمطاً من المسخ الاجتماعي في الفضاء العام[2]، بين فتح الأبواب للعولمة والأسواق والانترنت وتجسير المنتوج الثقافي الغربي، عبر القنوات السعودية التي مقرها دبي. ومن جهة أخرى، استنفار الأيديولوجيا الوهابية والمؤسسة الدينية والعصبية الطائفية "السنية" في ظل انفجار صراعات المشرق. وهنا علقت شريحة السبعين في الوسط (مع استثناء الإناث إلى حد كبير)، أي وقع نصف هذه الشريحة بين تناقضات توجهات الحكم وسطوة المؤسسة الوهابية، والظرف التاريخي العالمي في أوج العولمة الليبرالية وثورة الاتصالات. ولذلك، أنتج هذا الوضع مشاهد بأن الدولة وفرت بيئة إلى شباب للسفر لما تسميه "مناطق

[2] https://shorturl.at/UW2GK

الصراع" والانتماء "للتنظيم الضال" والموت هنالك. وفي ذات الوقت، وفرت بيئة أخرى، للثقافة الليبرالية والانفتاح النسبي والسفر لأمريكا وأوروبا للدراسة والعيش هناك.

كان ذلك الوضع يمثل الإجابة المرتبكة والمتناقضة لمعضلة شريحة السبعين. والمسألة الرئيسية لوضع الإرتباك، أنه لا يوفر الإجابات الحاسمة للهوية والحياة لهذه الشريحة، وبالتالي يدفعها لطرح الأسئلة، وإلى حيوية في المجال العام، والتفكير والصراع في حقل الأيديولوجيات السياسية والثقافية. ولذلك شهدت سنين ما بعد 2011، ثورة نسبية، أتاحها المجال العام الافتراضي، وخوض وتنافس حول الأفكار. ومن هنا، على سبيل المثال، انبثقت الحركة النسوية، من شريحة الإناث التي تشكل النسبة المئوية العظمى من شريحة السبعين.

والأمر هنا أن حالة الارتباك تولد دفعاً للشباب لطرح الأسئلة، والخوض في المجال الثقافي والفكري، حيث مساحة التهديد بالنسبة للسلطة السياسية. فما تريده السلطة هو العمل على ضبط شريحة السبعين بعيداً عن طرح الأسئلة والولوج للمجال الثقافي. من هذه الخلفية، متضافرة مع التحولات في العائلة المالكة، ونهاية صراع الأجنحة وانهيار الهوة الجيلية والعمرية بين الحاكم والمحكوم، مع صعود الأمير محمد بن سلمان، تحول التصور والمنظور من "التهديد" إلى "الفرصة". حيث عمل بن سلمان على حسم حالة المسخ، والصراع الديني-الليبرالي نحو إجابة ليبرالية صارخة.

تفترض السلطة السياسية الجديدة، بحالة من الجزم المسرف، أنها وجدت الإجابة النهائية للمعضلة الكبرى لتاريخ حكم أسرة آل سعود والذي نتج عن الطفرة النفطية الثانية. إلا أن هذا الجزم بدوره، مؤقت، ومختزل لمقدرة "ثقافة العولمة" و"الاستهلاك" على توفير إجابة لهذا الواقع الديمغرافي، فالخطأ الذي يقع فيه كل من يشير لهذه الشريحة، شريحة السبعين، هو افتراض أنها كتلة واحدة منسجمة، من الممكن إدارتها، في إغفال مجحف، وتجاهل، بأنها ذاتها تختلف، على مستويات طبقية ومناطقية وريفية ومدينية، بل حتى داخل المدن.

ولذلك، تجادل هذه الورقة أن وضع الحسم الليبرالي الحالي للسلطة هو مؤقت، ومرهون بوعود وطموحات النمو الاقتصادي، لا عبر صخب مشاريع الرؤية ذات الطابع الخيالي، بل في بديهيات فرص العمل والمدخول والسكن.
وبينما يوفر الحسم الليبرالي إجابة صاخبة على وسائل التواصل الاجتماعي، ففي واقع الأمر هي إجابة محصورة في فقاعات في المدن الكبرى، ولا توفر إجابات للأفكار والسرديات الكبرى من الهوية والدين والأخلاق، وعليه، ورغم الحسم المفترض الحالي، فهي ستؤول وتدور من جديد لوضع الارتباك، الذي سيدفع بالشباب والشابات من جديد إلى طرح الأفكار والتساؤلات، وإنتاج مجال ثقافي تفتقر السلطة لأدوات مجاراته، وستزيد معه استخدام أدوات القمع والترهيب، وتعود كأداة ضبط اجتماعي مركزية.

إن ما يجعل دراسة واقع الشباب السعودي، وشريحة السبعين على وجه الخصوص، اليوم ضرورة بحثية ملحّة هو أنّ التحولات التي يعيشها الجيل الصاعد لا تُختزل في تغيرات اقتصادية أو اجتماعية فحسب، بل تمتد إلى إعادة تشكيلٍ معمّق لبنية الوعي وللعلاقة بين الفرد والدولة ولتصورات الهوية والانتماء. فالشباب في المملكة لم يعودوا جمهوراً متلقياً لخيارات تُفرض عليهم من أعلى، أو عبر المناهج الدراسية وخطب الجمعة، بل جزءاً من شبكة اتصالية واسعة تتجاوز الحدود السياسية والجغرافية، وتعيد إدماجهم في فضاء عربي وإسلامي تتفاعل فيه القضايا الكبرى لحظة بلحظة. وبذلك، تصبح أي محاولة لإعادة هندسة المجال العام بمعزل عن هذه التحولات محكومة بالفشل أو على الأقل بعدم الاكتمال.

ومن هنا، تتعاظم أهمية فهم التوتر الحاصل بين مسارين متوازيين: مسار تسعى السلطة من خلاله إلى بناء هوية وطنية جديدة قائمة على الرفاهية والعولمة والتفرد، ومسار آخر يتشكل تلقائياً من خلال وعي الشباب بقضايا الأمة، واحتكاكهم المباشر بخطابات العدالة والكرامة والتحرر. هذا التوتر لا يعكس مجرد اختلافٍ في الأولويات، بل يصوغ ملامح مرحلة جديدة ستتحدد فيها علاقة المجتمع بالدولة، وقدرة الدولة على ضبط المجال العام أو مشاركته لا احتكاره.

وبذلك، يقترح هذا البحث أنّ قراءة "شريحة السبعين" ليست فقط مدخلاً لفهم حاضر المملكة، بل للتنبؤ باتجاهات مستقبلها أيضاً. فالشباب السعوديون، يشكّلون الكتلة الأكثر جنوحاً إلى إعادة طرح الأسئلة الكبرى حول الأخلاق والهوية والسياسة، وهي أسئلة ستصبح أكثر إلحاحاً كلما يتّسع الفارق بين الخطاب الرسمي ووجدان المجتمع.

مرحلة الحسم الليبرالي "الحلم السعودي"

لا يمكن إغفال النتائج الاجتماعية والاقتصادية لمرحلة الحسم الليبرالي بقيادة ولي العهد محمد بن سلمان، فقد أعادت إصلاحات الأمير تشكيل المجال العام تماماً بالشكل الذي طالما كان من طموحات التيار الليبرالي السعودي. وكذلك، دخلت الدولة مع التحول الجيلي لطبقة الحكم في طور من الحيوية في التغييرات البيروقراطية لمؤسسات الدولة. ومن المهم التذكير دائماً أن بن سلمان نفسه والمحيطين به هم أنفسهم من شريحة السبعين أو ما قاربها، وبالتالي فإن الصورة المراد بها للمجال العام والاقتصاد هي انعكاس عن تصور عن الذات وشكل نمط الحياة المراد أن يعيشه الأمير ودوائره الاجتماعية. الأمر الذي بالضرورة يفضي إلى أن هذه التصورات حكماً تستثني الغالبية من عامة الشباب.
من ناحية اجتماعية، كان الانفتاح الاجتماعي في موضع استجابة لتطلعات كثير من الإناث والشباب المديني ومن الطبقة المتوسطة وما فوقها. وهي كتلة ديمغرافية لا يستهان بها عدداً ولا مركزية حيث أن لها الوجود الرئيسي في المدن الكبرى، الرياض وجدة والدمام (الخبر). ومن ناحية المبدأ كانت عملية فك القيود الاجتماعية موضع ترحيب كبير، ولكن ومع مرور الزمن وزيادة الانفتاح في شكله وتبعاته ومداه، فإن دائرة الترحيب أصبحت تضيق مع الوقت نسبة لبداياتها، لتكون محصورة في فقاعات داخل المدن نفسها، كشمال الرياض المتحرر نسبة لجنوب الرياض الأكثر محافظة، أو مركز جدة مقارنة بأحيائها المحيطة. حيث بدأت خطوط الاختلاف الاجتماعي المحافظ/الليبرالي في الظهور، وإن لم تكن بالضرورة بذات الشكل القديم، بل في طور مختلف، فهذه المحافظة لا تنطلق

وتتبنى حالة من تمني العودة للزمن الوهابي، بل تضع لنفسها مساحة معه. إنما ترى في الحسم الليبرالي تهديداً لمعالم وشكل للمجال العام الذي لا تزال ترى أن عليه أن يكون أقرب تمثيلاً لمجتمع عربي ومسلم.

المسألة هنا أن الدولة من جهة تعي وجود هذه الفئة، وتحاول الموازنة بين جنون الفقاعات، وصخبها ومحاولتها لاحتكار صورة المجال العام أمام الخارج والصورة العالمية. إلا أن وعي الدولة لوجود شريحة واسعة من المحافظين يؤدي إلى كونها تحاول مراعاة ورعاية برامج هامشية، كبرامج تلفزيونية للمجتمعات ذات الطابع القبلي، أو البرامج الدينية. وكذلك ناشطي وسائل التواصل المحافظين وفي الأحياء والحواري التقليدية[3].

بالمحصلة لا تزال الدولة، رغم سنين من منحنى تعلم عسير، مع صدمة الحكم والصعود السريع غروراً وحساً بامكانية اعادة كل المجال العام ترهيباً بالقمع أو ترغيباً بالترفيه والانفتاح. إلى أن اصطدمت بواقع أنه حتى الدولة وحتى بموارد المملكة لا تستطيع حسم طبيعة وشكل التركيبة الاجتماعية وتحويلها إلى نسخ كربونية من بعضها. واستوعبت السلطة، إلى حد بعيد، اختلاف ردة فعل المجتمع حول سياسات الدولة وفقاً لعوامل عدة أولها الموقع الاقتصادي والشبكات العائلية والفروق العمرية. وأنه وفي كل مجتمع بشري هنالك محافظين و وهناك أجيال ذات مستوى طبقي أعلى تستجيب للانفتاح والتغيير بشكل مختلف. وعليه، وصلت الدولة إلى وضع تنحاز فيه للحسم الليبرالي وبشكل يحاول إدارة الهوامش، إنما وما إن تصطدم الطموحات الليبرالي بمصالح المحافظين أو المهمشين تكشر الدولة عن أنيابها قمعياً أو عبر تجاهل تمام ومحو كما ما حصل مع هدد جدة[4].

وعلى العكس من السائد، فإن المفاعيل طويلة المدى لمرحلة الحسم الليبرالي لن تأتي بسبب محض وجود تباين ليبرالي ومحافظ. بل إن الفاعيل المستقبلية

---

[3] برنامج عنب الذي يعرف نفسه مباشرة بـ"المحافظة" وهو مصطلح وتعريف جديد على البيئة السعودية، ينقل صورة صريحة ومباشرة للطبقة الاجتماعية التي تعيش خارج فضاء وعالم "الرؤية"
https://www.google.com/url?q=https://www.youtube.com/@ainab7670&sa=D&source=docs&ust=1764331809134734&usg=AOvVaw2Gs-kFkfmy5icFeYxtopOd

[4] https://www.al-akhbar.com/Opinion/330477

ستتكشف أولاً على الجانب الاقتصادي ومن ثم السياسي وبما سينعكس على البعد الاجتماعي، واعادة خلخلة توازنات المجال العام.

"الحلم السعودي"

تعكس النظرة إلى خريطة المشاريع السعودية[5] للعقد القادم، نظرة الدولة الاقتصادية-الاجتماعية، فهي عبارة عن مشاريع مسرحها الحيز الجغرافي ليس المدن فقط، بل مناطق محددة داخل المدن ذات المستوى الاقتصادي والرفاه. يعزز هذه السياسة الخطاب المتزايد ضد "العشوائيات"، في إشارة متداخلة لكل من الأحياء التي أغفلها التخطيط المركزي تاريخياً وهي أيضاً الأحياء ذات مستوى الدخل المنخفض. الأمر الآخر أن طبيعة التصور التام لخريطة المشاريع الكبرى للمملكة تهدف إلى بناء شبكة سكنية-سياحية-ترفيهية متشابكة، من مواصلات وخدمات بين المدن والمشاريع الترفيهية والسياحية الكبرى، من القدية وصولاً إلى البحر الأحمر. بعبارة أخرى، أن جغرافيا هذه المشاريع الاقتصادية لا تستثني مناطق جغرافية فحسب بل معها شريحة اجتماعية محددة.
يقوم منطق شرعنة الدولة لهذه المشاريع أنها جالبة للرفاه الاقتصادي، ضمن مبدأ "الحلم السعودي"[6]، حيث إما أن ينظر الشاب إلى المستقبل كبيئة أعمال يستطيع أن يكون فيها رائداً للأعمال فيحقق الحلم[7]، فينظر لهذه المشاريع كوجهة وفرصة. أو كمن ينظر لها من بعيد كرفاة ونجاح اقتصادي كلي للدولة سيعود عليه نفعه بشكل ما، فيقع ضحية صخب الدعاية السياسية والاقتصادية للفيديوهات التعبوية والدعائية. إن شواهد التبعات الاجتماعية-الاقتصادية لهذه المشاريع الاستثمارية حول العالم كثيرة، وسيكون من التكرار إعادة اجترار أن ما تنتجه هو تعميق فجوة الغنى والفقر، وأن سياسات الدولة في محاولة الاحتواء عبر اعادة ضخ الأموال في شبكات الأمان الاجتماعي لا تأتي من خطة مركزية وبرنامج اقتصادي بل كردة فعل ومحاولة لتقليل النزيف لا علاج أسبابه.

---

[5] 2025 الأحلام تحت التنفيذ | سبتمبر
[6] فرص الأعمال: فرص ريادية استثمارية في القطاع اللوجستي
[7] سؤال | وش تتوقع أكثر وظيفة بيزيد عليها الطلب؟

المسألة أن الوضع المختلف في المملكة، يكمن في النمط الاقتصادي الريعي الذي قامت عليه لعشرات السنين، والعقد الاجتماعي الضمني لتوفير الدولة للخدمات، كنوع من شرعنة الحكم، وهو ما يمثل إرثًا كبيرًا وعميقًا. وحين تتحول المملكة فجأة إلى نمط اللعب الحر للفرص، و"الحلم السعودي" فإن ردة فعل المستثنين من الحلم ستحتاج إلى ملء عبر شرعنة جديدة، وتعاقد جديد، للإجابة على سؤال أنا كشاب سعودي ما مميزات هذا الانتماء سوى أغاني وأناشيد الفخر السعودي؟ فجرعات الادرينالين لهذا الانتماء لن تدوم للأبد. وهذا تحديداً هو النطاق السياسي-الثقافي الذي لن تستطيع الدولة الاجابة عليه، وعليه تعيدنا إلى لحظة ارتباك ما بين 2000 إلى 2017، وسيدفع الشباب للبحث عن الأجوبة وخوض غمار المجال الثقافي من جديد. وإعادة أسئلة الجوانب الروحية النافرة من المادية والاستهلاكية، وكذلك الأسئلة الفلسفية التي لها علاقة بالأخلاق والواجبات الأخلاقية تجاه الذات والأمة والبشرية.

فالمسألة باختصار هي محاولة الأمراء السعوديين تكوين مجتمع دونما انتماء لمنظومة أخلاقية ولو عنواناً ونفاقاً وهو ما يسقط أحد أعمدة تماسك أي مجتمع. وعليه، وحين تأتي لحظة هذا السؤال، وتتخبط السلطة في الإجابة عليه، حيث لن تستطيع مواكبة تغيرات المسرح العربي والإقليمي فستعيد الدولة تفعيل أداة القمع من جديد بشكل غير مسبوق، عودة بدورها بحاجة إلى شرعنة وخطاب لها، بما سيمثل استعادة لأدبيات شرعية الحكم حول إرث شرعية الدين والاستعارات الفقهية حول ولاة الأمر وحكم غلبة السيف.

القضية الفلسطينية وتصدر سؤال الأخلاق

ستعيد سياسة "الحلم السعودي" تصدير معضلة السبعين من جديد، فمشكلة المملكة مع هذا الواقع الديمغرافي هو محض وجوده، حيث أن العدد الكبير من السكان المواطنين، لا المقيمين، هو ما يمنع تكرار نماذج الإمارات وقطر واستحالة الحسم الليبرالي على ذلك النمط. ففي الأخيرتين يشكل المواطنين نسبة صغرى من السكان بالامكان احتوائهم وادارتهم، وصنع تصور متوهم عن الذات والحفاظ

على التراث والدين والأخلاق، بينما "الخارج" أي ما يحصل في الدولة من انفتاح هو ضرورة اقتصادية على مسافة من الهوية الوطنية لا تمثيل لها. ويكون ذلك عبر استيراد كتلة كبرى من العمال والمقيمين لتشغيل الاقتصاد، دون طموحات سياسية أو آمال وتطلعات من الدولة. بينما ينتج الحجم الديمغرافي للمملكة حاجة ماسة لتشغيل كتلة سكانية تقع تحت مظلة عنوان المواطنة، وهو تشغيل يشمل ضرورة توفير إجابات اقتصادية وهوياتية وثقافية وأخلاقية كبرى.

في اللحظة الحالية ومن منظور السلطة السعودية، فإن مشاريع الرياضة وفعالية اقتصاد "الانفلونسرز" والمشاهير وصناعة المحتوى توفر إجابة مركزية في ملء المجال الثقافي للشباب. وما نراه اليوم حقيقة واقع مخيف، حيث وفي سابقة تاريخية عربية وإسلامية، نرى أن شرعية حكم دولة بأكملها قائم على "ثقافة العولمة الاقتصادية". أي أن علاقة المواطن مع الدولة وصورته لها قائمة على أنها ستوفر له أفضل وسائل الترفيه والاستهلاك والضحك، في نظام شرعنة يتخلى تماما عن أي تقديم الأجوبة المنظومة الأخلاقية أو ادعاء انتماء لمنظومة ما ولو نفاقاً. وهي فجوة كبرى ولأول مرة في تاريخ المملكة، أو تاريخ أي دولة تدير شعباً، فقد كانت المملكة ترفع لواء الدين، والعروبة، و"مملكة الانسانية كما بعد الحادي عشر من سبتمبر. وتعمل على مزج الهوية الوطنية مع شعارات أخلاقية، من طباعة القرآن ورعاية الحرمين والمنح للدول المنكوبة في التماس أخلاقي وحفاظ على صورة أخلاقية في أعين الناس. إلا أن مرحلة الحسم الليبرالي أتت دونما تبني لأي منظومة أخلاقية، بل لا تكون من المبالغة التعبير بأن المنظومة الأخلاقية كانت اللاأخلاق بحد ذاتها، والتعفف من أعباء المبادئ والشعارات واللعب على المكشوف. وصولاً إلى الاستعداد إلى ارتكاب أكثر الموبقات الأخلاقية وببجاحة وهو التطبيع مع العدو الإسرائيلي، وحديث محمد بن سلمان العلني عنه، سبتمبر 2023.

المسألة هنا، وتحديداً مع بدء "طوفان الأقصى" والإبادة الجماعية، منذ أكتوبر 2023، أن الطوفان قد أدى إلى استنفار كبير في كل القيم الأخلاقية من الشجاعة والتضحية والكرم والإباء، وكذلك إلى إعادة تصدير القضية الفلسطينية بخزانها الأخلاقي والديني. وهو ما أجبر السعوديين على التراجع، ومحاولة إدارة عاجلة

للصورة الأخلاقية، عبر نموذج الحكم القديم في استضافة القمم، أو بيانات وزارة الخارجية، التي تستخدم شعبياً بسرعة كنوع من التعبير عن الموقف من الإبادة إنما بوسيلة مسموحة وتحت عنوان الموقف الموحد خلف الدولة. وصولاً أخيراً، إلى حديث ولي العهد نفسه أمام ترمب في نوفمبر 2025، بأن مسألة التطبيع تواجه معضلة قبول شعبي محلي سعودي.

يساهم فهم رؤية السعودية لذاتها ما قبل السابع من أكتوبر وما بعده في فهم توجهها القادم، أي طبيعة تصورها أو حاجتها أو العوامل المؤثرة في تشكيل المجال العام للشباب. فما قام له "طوفان الأقصى" هو المبادرة. وعليه، وضع جميع اللاعبين الإقليميين والعرب في موقع ردة الفعل وارتباكه. ولذلك، فإن السعودية في "عالم ما بعد الطوفان" والتغيرات الحادة في المنطقة من سقوط النظام السوري، والجنون الإسرائيلي، والهزة التي حصلت للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة وانعكاس ذلك على العلاقة السعودية-الأمريكية تنتج واقعاً جديداً. والأخيرة -أي العلاقة مع الولايات المتحدة- هي محدد رئيس لنوع الثقافة المهيمنة في المملكة، فمشروع العولمة (إقرأ: الأمركة) وتصور الشباب له يتفاعل مع صورة أمريكا أمام العالم وتحولاتها الداخلية، حيث تضعف وتتغير العلاقة في كونها النموذج "المحتذى" و"القدوة"، وكلما ضعفت ثقافة وشرعية العولمة كلما وجب على السعوديين سلطاً وشعباً البحث عن نموذج "مثالي" جديد.

السعودية ما بعد 7 أكتوبر

حتى منتصف الليل من يوم السادس من أكتوبر كان جدول أعمال السلطة السعودية يسري كما هو مخطّط له. كان عام 2023 عاماً مثالياً، فالثورة التي بدأها محمد بن سلمان بدت وكأنها تجري بلا تعكير، والشريحة الاجتماعية العليا، في الرياض على وجه الخصوص، تعيش وتمارس أفضل أحلامها في تحويل المملكة إلى قطب من أقطاب نماذج العولمة الصاعدة في الاستهلاك والترفيه والعلاقات العامة. فأخيراً، تجاوزت عبء جريمة المرحوم جمال خاشقجي، والتأجيل والتعطيل اللذيْن أنتجتهما جائحة «كورونا»، والصورة الدولية على حال أفضل

بكثير، وكذلك العلاقات مع الولايات المتحدة تمّ ترميمها، بل رأت السلطة نفسها في وضع يمكنهم وبجرأة من الحديث العلني عن مستقبل علاقات مع "إسرائيل".
فقد كان خطاب ومنظور الهوية والمصلحة الوطنية قبل كل شيء، والانعزال عن العربي أو المسلم الآخر يشهد رواجًا داخليًا. فكتلة وازنة من شريحة السبعين من السعوديين والسعوديات يعيشون تغيّراً حقيقياً الذي يعمل منهجياً على إنتاج هوية سعودية جذّابة وعصرية وذات رمزية طبقية "مخملية"، بشكل يجعل العملية التاريخية الساداتية لإعادة إنتاج مصر بهوية انعزالية عملية أقل مثابرة وحماسة بالمقارنة.
شكّل عام 2022-2023 بالنسبة إلى النخبة السعودية عام حصاد لاستثمارات ومشاريع واستضافة محافل ومسابقات عالمية. الدوري السعودي لكرة القدم على سبيل المثال، ليس مجرد محفل رياضي، بل يشكّل، ومنذ عقود، إحدى أهم أدوات علاقات الدولة بالقطاع الأوسع من الشباب. في بداية الاحتجاجات العربية عام 2011 كان من المثير للاهتمام كيف تعاملت السلطة مع التجمّع الجماهيري في الملاعب وإنتاجها كتظاهرات تأييد للحكم، ففي حينها تحديداً شكّلت ملاعب كرة القدم المكانَ الوحيد في المملكة الذي يجتمع فيه عشرات الآلاف من الجماهير. أمّا النسخة الحالية من الدوري، فهي الأهم والأبرز تاريخياً، فقد استثمر صندوق الاستثمارات العامة مئات الملايين على الأندية الأربعة الكبرى التي تتوزع بين الرياض وجدة. ليتحول الموسم إلى محفل بأبعاد عدة، من التسويق للمملكة والعلاقات العامة والسياحية وكذلك إلى إحدى أهم أدوات الشرعية والغنائم المقدّمة للشباب السعودي.
يضاف إلى ذلك، استضافة كأس العالم للأندية، وفوز طلب استضافة كأس العالم لكرة القدم عام 2034، ما يعطي في وعي الشباب تصوراً وتطلعاً متفائلاً وجمالياً للمستقبل. بالإضافة إلى بطولة العالم للرياضات والألعاب الإلكترونية.
وبطبيعة الحال، موسم الرياض الشهير، كمحفل تمتد يده لكل قطاعات الترفيه في العالم ليأخذ قطعة منها للمملكة ضمن شبكة عملاقة وفاعلة للاستثمار السعودي لأغلب قطاعات الترفيه والخدمات في العالم. ما قامت به السلطة تغيير كبير، يستشعره شباب الطبقة الوسطى بنوع من النشوة، ففي حين كان هذا

الشباب في سفره إلى أوروبا وأميركا يواجه باستحياء الصورة النمطية للسعوديين والإرهاب والمحافظة الدينية، الصورة اليوم انقلبت بالنسبة إلى الشريحة المقابلة من المجتمعات الغربية والعالمية، فمجرد قول بأنّك سعودي يبدأ الشاب مستهلك «اليوتيوب» بسرد الصورة النمطية الجديدة، حيث يبدأ بشكل مبهر وآلي وببغائي بترداد ما استهلكه من منتجات العلاقات العامة السعودية والدعايات والتسويق الإلكتروني.

تشترط هذه الفقاعة من الامتياز وممارسة الترف، تحصين نخبة الحكم في المملكة لذاتها في إطار الانعزال بالهوية الوطنية السعودية. وهو أمر ليس بجديد، فالسمة العامة للدولة العربية الوطنية هو الجنوح إلى الانعزال، ولأسباب أبرزها وأساسها هو تمكّن النخبة الحاكمة في كل بلد من ممارسة امتيازها كحاكم ومالك لشعب وموارد تحت شرعية دولة بعلم ونشيد وطني وحدود جغرافية. وعليه، من الممكن قراءة تاريخ كل طبقة وأسرة عربية حاكمة بأنه تاريخ ممانعة وحمائية سياسية أمام حقيقة أن المجال السياسي والثقافي العربي هو عابر للدولة العربية. ولذلك، فإن الانعزال وصنع جزيرة منفردة على المصير العربي أمر مستحيل ولكنه حلم يراود كل النخب العربية.

إلا أن الحالة السعودية فريدة، فهي لاعتبارات متعددة - منها خصوصية مكة المكرمة والمدينة المنوّرة والمكانة الاقتصادية النفطية والعلاقة بالولايات المتحدة- تحرص على ممارسة السياسة ضمن المجال العربي، وذلك عبر تكييف ودعم لصيغة محددة من الهوية الإسلامية. في نهاية المطاف، ضاق الجيل الصاعد من النخبة السعودية ذرعاً بهذا العبء، فقد كبّلتهم هذه السياسة طويلاً، سواء من ناحية الاندماج في العولمة أو الارتدادات الأمنية، وخصوصاً وهم يرون نماذج دبي والدوحة في الجوار. وعليه، كانت الصيغة هنا هوية وطنية سعودية برأس مال ضخم يشكل المركز، وممارسة السياسة في المجال العربي عبر إلحاق الأطراف بالمركز انبهاراً واستهلاكاً لثقافة العولمة.

وصلت هنا أحلام رأس المال السعودي إلى أعلى مدياته، وآمنوا بجد بأن الوفرة المالية ستمكّنهم من صنع مجال منعزل يشكّلونه دونما أي عبء أو "إزعاج". وفي واقع الأمر، قد نجحوا في ذلك أيّما نجاح، وإن كان الكثير من الجمهور العربي، من

الطبقات الدنيا أو المسيّس والمنخرط بالصراع في المشرق، لا يراها، إلا أن رأس المال الخليجي تاريخياً، والسعودي المثابر اليوم، يصنع فقاعة ضخمة وجبارة تشمل شريحة واسعة جداً من الأجيال العربية. كل هذه التغييرات ليست غائبة عن عيون الصهاينة، ففي حين أن هنالك رواجاً بأن غنيمة التطبيع الإسرائيلية-السعودية هي اختراق في المجال الإسلامي بسبب الحرمين والحيثية الدينية، فإنه ليس من القفز بالتحليل القول بأن الصهاينة يرون غنيمة في الاختراق الليبرالي الأقرب إلى نموذج دبي، ولكن إلى جمهور عربي أوسع بكثير. وهذا ما أثبته الواقع المرير وهو تمازج صراخ الأجساد الجائعة والمحترقة في الإبادة مع خلفية موسيقى حفلات الترفيه في الرياض.

ما بعد صباح السابع من أكتوبر وتقريباً ما بين الساعة السابعة والساعة العاشرة بتوقيت السعودية في صباح هذا اليوم، وفي حين كانت «كتائب القسّام» تنكّل بفرقة غزة في جيش العدو، كانت الصورة القادمة من المعركة تمارس ضربات مختلفة ولكن على مجمل الإنتاج الفني والترفيهي لرأس المال السعودي، فقد ضربت صورُ ومشاهد الإعلام العسكري صلب صورة موازين العالم التي ترسمها العولمة.

استيقظت السلطة على أسوأ كوابيسها، حيث إن أكثر عبء يزعجها هي تلك المراحل التاريخية التي تحدث فيها انفجارات سياسية توهّن الحدود السياسية العربية وتضعفها: من غزو العراق، والظاهرة الجهادية التي تلتها، وصولاً إلى ما اصطُلح عليه غربياً بالربيع العربي. إلا أن ما استيقظ عليه السعوديون كان الأسوأ؛ ليس لأن عملية "طوفان الأقصى" كانت بحد ذاتها حدثاً ضخماً، بل لأن العنوان هذه المرة هو "فلسطين". ففلسطين أكثر العناوين ترهيباً للطبقة الحاكمة العربية، ولعقود، فهي بذاتها تفرض نفسها على الجميع، وتشعر حينها رأس المال الخليجي بفقره وافتقاره، وعدم توفر الأدوات التي من الممكن له التعامل معها. إلا أن النخبة السعودية هنا لم تكن في وارد الخضوع، بل إن السياسة التي توافقت عليها في البدء بعد استيعاب الصدمة هي التجاهل لا المواجهة.

رغم ذلك فإن صدمة "الطوفان" ضربت عميقاً في المجتمع، فقد كان مثيراً مدى تفاعل جمهور وسائل التواصل، خصوصاً خارج "تويتر" (إكس)، فالأخير يشكّل

تابو للمجتمع باعتباره منصة ذات طابع سياسي. بينما كانت باقي وسائل التواصل تتفاعل كغيرها من المجتمعات العربية، وبشكل أنذر السلطة لتحاول استيعاب الأمر. خرج رموز السلطة للتحذير بشكل مباشر من تبنّي أي خيار أو خطاب سياسي، وأنه إن أردت التضامن إلكترونياً فعليك بالتضامن الإنساني، بما يشبه أحداث الكوارث من الزلازل والسيول.

كانت مراقبة الجمهور الرياضي السعودي وردّة فعله كفيلة بعكس المزاج الشبابي، خصوصاً أن هذا الجمهور عابر للطبقات. في أول "الطوفان" عملت حسابات "تويتر" (إكس) الكبرى للمشجعين على الحديث بحماسة عن فلسطين، إلى حد أن مشغّل الحساب الرسمي لنادي الهلال، أكبر الأندية السعودية، تحمّس ونشر صورة للاعبين بالكوفية الفلسطينية والتي سرعان ما أزيلت.

هنا ثارت السلطة وأصبحت تحذّر وتتحدّث عن أننا تركنا مجموعة من الهواة ومحبي الرياضة يحصدون مئات الآلاف من المتابعين دونما مراقبة لما يقومون به من تغريدات غير وطنية. وعليه، تمت عملية إعادة ضبط للمحتوى الإلكتروني من جديد. إلا أن هذا لم يقض على الحس العام للمجتمع، إنما دونما تطرق إلى الحديث السياسي.

إلا أن كل ذلك لم يؤثّر على القرار الحاسم للسلطة بأن لا رجعة إلى زمن حفلات التضامن والتعكير من الخارج، وأن جدول الأعمال يجب أن يستمر مهما كان. حتى وصلنا إلى أكثر مشاهد الانقسام العربي الحقيقي، في مشهد حفلات الغناء والسمر المتزامن مع أكبر مجازرنا في العصر الحديث، والبجاحة والجرأة في إكمال رأس المال السعودي طموحه في تشكيل شبكة كبرى من علاقات الفنانين المؤثرين في وسائل التواصل والإعلاميين والأثرياء العرب، بشكل أنتج شريحة عربية واسعة في عالم مواز. وهذا تحديداً ما أبهر الصهاينة وزرع فيهم أمل المراهنة على مستقبل ما في المنطقة بالتحالف غير المسبوق لطموح السلطة السعودية.

دفع هذا الانبهار الصهاينة للاستمرار أكثر وأطول في الإبادة، استمرار أدخل السلطة في أزمة حول كيفية إدارة الحدث، ففشلت خطة احكام الأحزمة والاستمرار وأن الحرب ستقف وستزول العاصفة. حيث أن عنجهية نتنياهو فاقت ما يتحمل إدارته السعوديين داخلياً، وأصبحت مسألة إدارة الصورة الأخلاقية

مسألة واجبة وحساسة. وإن كانت كلفة وطريقة هذه الإدارة عبر احتواء هزيل بالبيانات. والأمر الآخر، الأكثر أهمية انهيار كل برنامج التحالف السعودي-الإسرائيلي، وزهد السعوديين فيه نسبة لما كانوا يفكرون فيه يوم السادس من أكتوبر. وعليه، كبس مكابح أمام خطاب تبرير والصهينة داخلياً للمجتمع والشباب، والهجوم على الشعب الفلسطيني وتشويهه.

فلم تستطع السلطة عزل ذاتها والمجتمع عن التحولات الكبرى في المنطقة منذ الطوفان، حيث يرى ويتفاعل الشباب في السعودية مع أحداث كبرى وصاخبة في الخارج تتجاوز صخب الفقاعات الترفيهية المحلية، من غزة والعدوان على إيران وسقوط النظام السوري. وبطبيعة الحال، الصخب العالمي حول فلسطين وضد الإبادة وطوفان مشاهد وسائل التواصل الاجتماعي. ولذلك، وصلت السلطة إلى خلاصة مهمة، وهي أن يجب عليها المبادرة لا التجاهل وركوب موجة الدعاية الأمريكية الإسرائيلية التي تضعضعت حول القدرة على بيع تصور شكل "الشرق الأوسط" المنفتح والخالي من التطرف والإرهاب والذي عبر التطبيع سيولّد مستقبلاً زاهراً.

المسألة المهمة هنا، أن هذه العودة للمبادرة وممارسة السياسة في الخارج، أنهت مشروع تجاهل وجعل مسرح السياسة الخارجية هامشياً أمام سياسة الانعزال و"السعودية أولاً" والخطاب الوطني الشوفيني طوال سنين 2017-2023. ولذلك عادت المملكة لممارسة السياسة في المجال العربي واستخدام أدواتها الإعلامية لتصويره للداخل، كتدارك سقوط النظام السوري والدخول كمدخل المعين لسوريا واستعادت خطابات العروبة والأخوة، والمساهمة في إزالة العقوبات عن سوريا. والآخر، عودة محاولة إبراز دور ما نحو فلسطين[8] والمبادرة تجاه حل الدولتين والتصوير الحثيث بأنهم رعاته. كل هذه السياسات تستدعي شرعنة وتبريراً داخلياً، أي العودة لصندوق أدوات التقليد التاريخي للسياسة الخارجية السعودية وأدبياتها وإن بنسبة أقل.

لاحظ الإعلامي السعودي داود الشريان أهمية هذه الإدارة خطاب السياسة الخارجية[9]، وعليه غرد معاتباً محاباة توجه صقور الخطاب الصهيوني العربي

[8] https://x.com/SaudiNews50/status/1994735375168786888
[9] https://x.com/alshiriandawood/status/1981984025989300633

الممثلين للتوجه الإماراتي: "مؤسف أن يصل نديم قطيش وعماد الدين أديب إلى هذا المستوى من التقدير من بعض حكومات الخليج، رغم أن الناس لا تطيق خطابهما ولا ترى فيهما تمثيلا للرأي العام. دعم أمثالهما صلف ومعاندة لنبض الناس". إن إشارة الشريان لتمثيل "الرأي العام" تعكس احساساً لدى نخب السلطة بالحاجة إلى إدارة الخطاب حول فلسطين والسياسة الخارجية، وهو ما يحدث فعلاً[10]، حيث تقوم السلطة بإدارة منهجية لخطابها وعلاقتها مع فلسطين. بين تصريح محمد بن سلمان عام 2018 بأن على الفلسطينيين أن يخرسوا ويقبلوا بخطة ترمب[11] إلى "نحن معكم ولن نترككم والعالم كله معكم"[12]. فقد اخترق الأثر الذي أنتجته فلسطين والطوفان وعاء هندسة السلطة للمجال العام، وفرض نفسه عليه، وأثبت أن محاولة السلطة الفصل والانعزال عن المجال العربي والإسلامي فاشلة. إن لهذه العودة أثرًا مباشرًا على شريحة السبعين، حيث وإن كانت الفرضية الأولى لـ"الحلم السعودي" تستدعي انتظاراً بأن تأخذ المفاعيل الاقتصادية لمرحلة الحسم الليبرالي وقتها، حتى تواجه السلطة أسئلة الأخلاق وشرعية ما بعد "شرعية العولمة". إلا أن الوضع العربي والقضية الفلسطينية تساهم في تعجيل كل من خوض السلطة في حالة مجاراة وتدارك لتسارع إثارة شريحة السبعين، خصوصاً هوامشها الإقتصادية والأكثر محافظة، لمسألة خوض المجال الثقافي والسياسي، وسؤال ما هي الأخلاق التي تمثلها الهوية السعودية الجديدة التي نحتفي بها؟

خاتمة

تُظهر قراءة التحوّلات التي مرّت بها المملكة خلال العقدين الأخيرين أنّ معضلة «شريحة السبعين» ليست مجرّد ظاهرة ديمغرافية، بل هي المساحة التي تتكثّف فيها الأسئلة الكبرى حول الهوية والاقتصاد والأخلاق ومعنى الانتماء. فالحسم الليبرالي الذي تبنّته السلطة، وإن أعاد تشكيل المجال العام بصورة جذرية، يبقى مشروطاً بقدرة الاقتصاد على الوفاء بوعوده، وبقدرته على تقديم إجابات تتجاوز

[10] https://x.com/SaudiNews50/status/1995108391207776521
[11] https://www.aljazeera.com/news/2018/4/30/mbs-palestinians-should-accept-trump-proposals-or-shut-up
[12] https://x.com/SaudiNews50/status/1994735375168786888/photo/1

الاستهلاك والترفيه إلى معنى أعمق للحياة وللمواطنة. ومع كلّ اهتزاز خارجي كبير—وخاصة ما أعادته فلسطين إلى الواجهة من قيم الشجاعة والعدالة والانتماء العربي الإسلامي ـ يظهر بوضوح أنّ المجال العام السعودي لا يمكن عزله عن محيطه، ولا يمكن هندسة وعي الشباب خارج سؤال الأخلاق.

قد حاولت السلطة في مراحل سابقة التعامل مع هذه الكتلة بوصفها «خطرًا» يتطلب الضبط، ثم تحوّل هذا النظر مع صعود ولي العهد محمد بن سلمان إلى اعتبار الشباب «فرصة» لتجسيد مشروع التحول الليبرالي السريع. إلا أنّ كلا المنظورين—الخطر والفرصة—أغفلا حقيقة أن الشباب السعوديين ليسوا كتلة واحدة متجانسة، وأن الدولة مهما بلغت قدرتها التنظيمية لن تتمكن من هندسة مجتمع متعدد الطبقات والمواقع والانتماءات داخل نموذج واحد مغلق، سواء كان دينيًا محافظًا أو ليبراليًا منفتحًا.

لقد أثبتت تجربة «الحلم السعودي» أنّ الدولة تستطيع صناعة الفقاعات، لكنها لا تستطيع أن تمنع الأسئلة من العودة، ولا أن تملأ الفراغ الأخلاقي بخطاب محايد أو تسويقي. وسيظلّ الشباب، في لحظة تراجع الوعود الاقتصادية أو اهتزاز صورة العولمة، يبحثون عن إجابة تتجاوز اللحظة، وتستند إلى منظومة قيمية يتعرّفون فيها على ذواتهم بوصفهم جزءاً من فضاء عربي وإسلامي أوسع.

وعليه، فإنّ أي مشروع يرغب في التأثير في اتجاهات هذا الواقع السعودي الجديد، لا يمكنه أن يترك للسلطة هامش احتكار الخطاب أو استخدامه لصالحها. بل يحتاج إلى خطاب لا يمنحها فرصة استغلاله—خطاب قادر على منافستها في مسرح الأخلاق والانتماء، لا عبر شعارات صدامية تُمنح بسهولة لآلة القمع، بل عبر لغة تستعيد المعاني التي افتقدها المجال العام: العدالة، الكرامة، الانتماء العربي والإسلامي، والمسؤولية الأخلاقية تجاه قضايا الأمة. فحين يُعاد إنتاج هذه القيم كفضاء مفتوح لا كخصومة سياسية مباشرة، يصبح تأثيرها أعمق، وأقدر على جذب الشباب الذين يبحثون عن معنى يتجاوز وعود الرفاه الاستهلاكي، وعن هوية لا تُختزل في صورة مصقولة أو سردية وطنية ضيقة. خصوصاً، أن الدور السعودي الإقليمي القادم لن يكون بعنجهية زمن الحسم الليبرالي فقد تغير العالم

والمنطقة، وتحديداً نظرة السلطة إلى مكانتها ودورها الإقليمي ووزنها وشكل علاقتها مع الأمريكيين، حيث تدخل حيثيات هذه العلاقة نمطاً جديداً غير مسبوق، يتجاوز كلاسيكيات سوق النفط أو العلاقة مع "إسرائيل"، بل ضمن مسرح تاريخي دولي واقتصادي عالمي جديد. وعليه، وسيحاولون تمرير مشاريع بدرجة من الحنكة الخطابية لم تكن في المراحل السابقة.

وبهذا، يقدّم هذا البحث خلاصته: أنّ لحظة الارتباك المقبلة ليست احتمالاً بعيداً، وأنّ الفرق سيصنعه خطابٌ قادر على استعادة المجال الأخلاقي والسياسي، والحديث إلى الشباب بما يرونه جزءاً أصيلاً من ذواتهم، لا بما تريده السلطة لهم.